

رسالة إلى أمّ الزوج ..



إلى تلك الأمّ الغالية التي حملت بين أحشائها ابنها الرجل جنيناً، وكابدت آلام المخاض وهي سعيدة، وعاشت معها بنفس راضية حتى خرج إلى الحياة والنور بشرأً سوياً ..

إلى تلك الأمّ الحنون التي ولدت وأرضعت، وسهرت وتعبت، وربت وعلّمت، وتحملت وصبرت، لتنمّن في النهاية رجلاً ..

إليها وقد ظلمت وشُوّهت صورتها في ذاكرة كثير من بناتنا ومجتمعنا، وتُعرّض لها في بعض وسائل الإعلام، وأسيء إليها بقصد وبغير قصد، ووُصفت بأوصاف لا تليق بها كأمّ للزوج ..

إليها .. وإلى كل أمّ زوج .. نهدي هذه الرسالة .. حباً من القلب.. واعترافاً بالفضل.. وتناصحاً في الخير ..

قلب الأمّ .. هو قلبك ..

أنت أمّ لذلك الابن الذي صار زوجاً، وأمّومتك تتطلّب منك أن تسعدي لسعادته، وأن تحبي ما يحبه وأن تُدخلِي السرور عليه، وأطّن أن كلّ أمّ تفعل هذا، أليس كذلك؟

فتذكري أمّاًه أنك حين أنجيتك ولدك هذا أنك كنت تتممّن أن يحفظه الله عزّ وجلّ، ويكبر ويصبح رجلاً وتفرحي به كما تقولين، ولطالما رفعت يديك إلى السماء داعية الله عزّ وجلّ أن يمنّ عليك بطول العمر وترى ولدك هذا عريساً وزوجاً في بيته ..

وها هي الأمنية قد تحققت، واستجابةً لدعوك، وبعد جهد وبحث واستخارة واستشارة تزوج ولدك بفضل الله وصار زوجاً، وانتقل مع عروسه المختاره إلى بيتهما الجديد، بيت الزوجية السعيد، وصارت رؤية ولدك بالتأكيد أقل عن ذي قبل، إذ أصبح يشاركته فيه لأول مرة امرأه أخرى هي زوجته العروس، وتلك هي سُنة الحياة، والأيام دولٌ بين الناس، وما أشبه الليلة بالبارحة! فبالأمس القريب كان حالك أنت وزوجكـ الحال ولدكـ وزوجهـ.

لكن بعض الأمّهات لا تستوعب هذا الحدث ولا تريده أن تتقبله، بل تشعر في قراره نفسها أنّ زوجة ابنتها قد أخذت منها فلذة كبدتها الذي صنعته، وما شعرت أنّ ابنتها هو الآخر قد أخذ زوجته من أهلها أيضاً فقد تركتهم هي الأخرى لتكون له، وإن كان ابنتها أحسن حالاً من عروسه؛ إذ يمكنه أن يأتي أمها في أي وقت شاء ويزورها في أي ساعة تريده، يأتيها دون قيود أو إذن أو استئذان.

وبحلول هذه العروس بيت ابنك زوجة له صارت لك ولزوجك ابنة، كما صار هو ابناً لوالديها ومحاماً لأمّها.

أمّا.. انظري في ذاكرة أيامكـ قليلاً..

أتذكرين أيتها الأمّ الحنون يوماً مضى عليكـ هو عالقـ في ذاكرتكـ لا ينفك عنها، يوم أن كنت عروسـاً وصرتـ زوجة ابنـ؟! أتذكرين حالكـ حينئذـ وأنتـ في مقتبل عمركـ ليس لكـ خيرة بالحياة كبيرةـ، ولا بكيفية التعامل مع الناس باختلاف مستوياتهم وطبقاتهمـ؟! فهلا تفكرتـ فيما كان من أمركـ مع أمـ زوجكـ؟! ماذا كنتـ تنتظرين منها وأنتـ وافدة جديدة عليها وعلى بيتهاـ؟!

حينما يتدخل الشيطان.. يتتصدّع البنيان..

أنا لا أضع أمـ الزوجـ أي الحماةـ في قفص الإتهامـ حتى لا أكون مطففة طالمةـ، لكنني في رسالتي هذه أريد أن أركـزـ كما قلتـ من قبلـ على بعض السلبياتـ في حيـاتـنا للتنبيـهـ عليهاـ ومن ثمـ تجنبـهاـ وعلاـجـهاـ، وسأـتبعـ رسـالـتـيـ تلكـ برسـالـةـ لـزـوجـةـ الـابـنـ أـيـضاـ لا تـقلـ صـراـحةـ عـنـهـاـ، لـنـصلـحـ بـيوـتـناـ وـعـائـلـاتـناـ وـنـوـطـدـ الـصـلـةـ بـيـنـ الـقـلـوبـ.. وـكـمـ مـنـ "ـحـموـاتـ" هـنـّـ أـمـهـاتـ بـمـعـنىـ الـكـلـمـةـ، قـدـ جـعـلـتـ الـواـحـدـةـ مـنـهـنـ زـوـجـةـ اـبـنـهاـ لـهـاـ اـبـنـةـ بـلـ أـكـثـرـ مـنـ اـبـنـةـ.

لذلك أقول: إنـّـ بعضـ الأمـهـاتـ (ـالـحـموـاتـ) بـكـلـّـ أـسـفـ تسـمحـ لـلـشـيـطـانـ أـنـ يـتـسلـلـ إـلـىـ بـيـتـ اـبـنـهاـ بلاـ سـاقـ استـئـذـانـ، فـيفـسـدـ مـاـ بـنـتـهـ الـأـيـامـ وـيـحلـ مـنـ اـنـعـقـدـ مـنـ مـيـثـاقـ.

إـيـّـاكـ.. ثـمـ إـيـّـاكـ.. ثـمـ إـيـّـاكـ وـالـظـلـمـ..

تقول الأمـ: لقد ربـتـ ولـديـ وـتـعبـتـ عـلـيـهـ وـسـهـرـتـ وـأـنـفـقـتـ وـمـرـضـتـ وـتـأـلـمـتـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ أـخـذـتـهـ مـنـيـ رـجـلـاـ جـاهـزاـ وـهـربـتـ بـهـ، أـلـاـ يـسـتـحـقـ ذـلـكـ مـنـهـاـ أـنـ تـكـوـنـ مـدـيـنـةـ لـيـ مـطـيـعـةـ طـوـلـ الـعـمـرـ، وـأـنـ تـخـدـمـنـيـ كـلـّـ الـوقـتـ؟ وـكـأـنـهـاـ قـدـ اـشـتـرـتـهـاـ يـوـمـ أـنـ تـزـوـجـهـاـ اـبـنـهـاـ، فـتـرـيـدـهـاـ أـنـ تـكـوـنـ لـهـاـ كـمـ تـرـيـدـ مـهـماـ تـكـنـ الـطـرـوـفـ؟!

إنـّـ هـنـاكـ بـعـضـ "ـالـحـموـاتـ"ـ هـدـاـهـنـيـ أـلـّـ وـإـيـاهـنـ"ــ قدـ نـسـيـنـ أـنـهـنـ"ــ كـنـ فيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـّـامـ زـوـجـاتـ أـبـنـاءـ، وـأـنـّـ الـأـمـاـكـنـ الـآنـ قـدـ تـغـيـرـتـ، وـالـمـقـاعـدـ تـبـدـلـتـ، وـفـيـ غـمـرـةـ الـحـيـاةـ يـتـخـطـيـنـ الـخـطـوـتـ الـحـمـرـاءـ فـيـ تـعـاـلـهـنـ"ــ فـيـقـعـ الـظـلـمـ مـنـهـنـ"ــ بـغـيـضاـ كـرـيـهـاـ لـزـوـجـاتـ أـبـنـائـهـنـ"ــ فـاحـذـرـيـ أـمـاهـ أـنـ تـقـعـيـ فـيـ الـظـلـمـ وـأـنـتـ لـاـ تـشـعـرـينـ، إـنـكـ أـمـّـاهـ لـاـ شـكـ تـحـمـلـيـنـ بـيـنـ جـوـانـكـ قـلـباـ دـافـئـاـ يـنـبـضـ بـالـحـبـ وـيـعـطـيـ الـأـمـانـ.. فـتـذـكـرـيـ

أنَّ النَّبِيَّ (ص) يَقُولُ: "إِنَّ الظُّلْمَ الظُّلْمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (رواه أَحْمَد)، وَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ سَبِيلًا فِي ظُلْمِ ابْنِكَ لِزَوْجِهِ إِرْضَاءً لَكَ، فَقَدْ يَؤْدِي كُثُرَةُ شَكَايَتِكَ لَهُ مِنْهَا أَنْ يَتَحَالَّ عَلَيْهَا وَلَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ فَيُؤَذِّيَهَا أَوْ يَضُرُّهَا، وَبِخَاصِمَهَا أَوْ يَطْلُقُهَا وَتَكُونُ أَنْتَ السَّبِيلُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَظْهُرْ هُوَ لَكَ.

احذرِي الإِفْلَاسَ بَيْنَ يَدِيِّ الْعَزَّ جَلَّ ..

فَعَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ قَالَ: "تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أَمْتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَوةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةً، يَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَصَرَبَ هَذَا، فَيُعَذَّبَ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، إِنَّ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخْذَدَ مِنْ خَطَايَا هُمْ فَطُرْحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرُحَ فِي النَّارِ" (رواه مسلم).

إِلَيْكَ أَيْتَهَا الْأُمُّ الْفَالِيَّةِ ..

أَنْتَ أَمْ غَالِيَّةٌ لَكَ قَدْرُكَ وَمَكَانِكَ الَّتِي بُوأَكَ إِنَّهَا لَا يَنَازِعُكَ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَيْسَ مَعْنَى أَنَّ ابْنَكَ تَزُوجَ أَنْ حَقَّكَ عَلَيْهِ قَدْ اَنْتَهَى، كَلَّا.. بَلْ هُوَ بَاقٍ ثَابِتٌ لَكَ فِي عَنْقِهِ طَوْلَ حَيَاةِهِ، لَكِنْ أَذْكُرُكَ أَمْمًاَهُ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَمْرَ الْمُتَعَلِّقَةُ بِابْنِكَ وَزَوْجِهِ لَا تَخْلُطِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَقَّكَ عَلَيْهِ، فَتَظْلِمِي وَتَظْلِمِي.. وَمِنْ ذَلِكَ:

- التَّدْخُلُ فِي شَؤُونِ حَيَاةِهِمَا، وَمَحَاوَلَةُ مَعْرِفَةِ كُلِّ مَا هُوَ خَاصٌ بِهِمَا، وَلَوْ كُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُمَا لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ لِنَفْسِكَ وَلَا بَنْتِكَ.

- الضَّغْطُ عَلَى وَلَدِكَ حَتَّى يَسْكُنَ مَعَكَ فِي نَفْسِ الْبَيْتِ أَوْ بِالْقَرْبِ مِنْكَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَصْرُبُ بِمَصلِحَتِهِ أَوْ عَمَلِهِ وَبَيْتِهِ وَأَسْرِهِ.

- الْغَيْرَةُ الشَّدِيدَةُ مِنْ زَوْجَةِ ابْنِكَ الَّتِي تَدْفَعُكَ لِطَمْسِ حَسَنَاتِهَا وَعَدَمِ إِفْشَائِهَا، بَلْ وَمَحَاوَلَةُ تَخْطِئَتِهَا دَائِمًاً.

- جَعْلُ سِيرَتِهَا مَعْلُومَةً فِي بَيْوَتِ مَنْ تَعْرِفُ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَصْدِيقَاتِ، كَيْفَ تَأْكُلُ أَوْ تَشْرُبُ وَمَا تَنْفِقُ وَمَا تَقُولُ وَمَا تَشْتَرِي وَتَلِيسُ، وَالْتَّفْكِهُ بِغَيْبِتِهَا فِي الْمَجَالِسِ. وَقَدْ نَهَى إِنَّهَا عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ لَنَا: (وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) (الْحَجَرَاتُ / 12)، وَقَدْ سَأَلَ رَجُلُ النَّبِيِّ (ص): مَا الْغَيْبَةُ؟ فَقَالَ لَهُ: "ذَكْرُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرِهُ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ، قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ أَغْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَهُ" (رواه الترمذى).

- إِفْشَاءُ سَرَّهَا وَكَشْفُ عَيْبَهَا حَالُ سُخْطَكَ عَلَيْهَا أَوْ تَهْدِيَهَا بِذَلِكَ.

- عَدَمُ التَّنَاءِ عَلَيْهَا أَمَامَ ابْنِكَ وَلَوْ كَانَتْ تَسْتَحِقُ التَّنَاءَ خَاصَّةً حِينَ الشَّقَاقِ بَيْنَهُمَا، صَنَاعَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ، وَبِخَلَا على نَفْسِكَ بِالْأَجْرِ، وَلَوْ فَعَلْتَ لَكَانَ خَيْرًا، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" (رواه البخاري)، وَقِيلَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: "مَا يَدْلِلُ عَلَى هَدِيَّ، أَوْ يَرْدُ عَنْ رَدِيَّ، أَوْ يَصْلَحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، أَوْ يَفْصِلُ بَيْنَ مُتَنَازِعَيْنِ، أَوْ يَحْلُّ مَشْكُلاً، أَوْ يَكْشُفُ غَامِضًاً، أَوْ يَدْفَعُ تَأْثِيرًاً، أَوْ يَسْكُنُ غَصْبًاً".

- ذَكْرُ مَسَاوَئِهَا أَمَامَ ابْنِكَ، وَإِظْهَارُ نَدْمِكَ عَلَى ارْتِبَاطِهِ بِهَا، وَتَمْنِي فَرَاقِهِ لَهَا وَلَوْ بِالْطَّلاقِ، وَهَذَا لِلأسَفِ يَحْصُلُ مِنْ بَعْضِ الْحَمَوَاتِ!

- إِلْزَامِهَا وَتَكْلِيفِهَا بِخَدْمَتِكَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ وَأَوْلَادُكَ، أَوْ الإِثْقَالُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْجَانِبِ وَإِشْعَارِهَا بِالتَّقْصِيرِ، وَاعْتِبَارِ ذَلِكَ دِينًاً وَوَاجِبًاً عَلَيْهَا لَا أَنْهُ أَنْهُ مِنْ بَابِ الْبَرِّ وَالْتَّعَاوِنِ الَّذِي ثَابَ عَلَيْهِ.

- عدم مراعاة أحوالها المختلفة التي تمر بها كزوجة، وحامل ونفساء ومرضة وأمٌّ وربة بيت مسؤولة، وعاملة مشغولة، وعدم التبرع منك بمساعدتها عند الحاجة إن استطعت ذلك.

- التدخل في كيفية تربية أولادها، ورفض الطريقة التي تراها هي مناسبة مع تغير الأيام وتعدد العلوم، ومحاولة فرض طريقة تربتك أنت عليها، والغضب منها إن خالفت في ذلك.

- غضبك منها كلما زارت أمها وأهلاها وحاولت برّهم، ولو شعرت أنها ابنته حقاً لشجعتها على البر، وشجعت ولدك على السماح لها بذلك.

- تعمد الصياغ والنزاع معها كلما جمعك بها مجلس مع ابنك؛ لظهوره له أنك مظلومة مهضومة الحقوق.

- عدم احترامها أمام الناس، وقلة السؤال عنها أو الاتصال بها، والتجسس على أخبارها، وتحسّس أحوالها المختلفة.

أمّا.. لا تنسي.. فأنتِ المثل والقدوة..

لقد ربببت ولدك على مكارم الأخلاق وهو صغير، فأريه إياها في تعامله مع زوجته وهو كبير، وبحذا الإيثار منك والرحمة والتحصية والثقة، وما أجمل العفو والتغاضي عن الزلات والصفح والستر، وما أحسن الكلمة الطيبة والاحترام وكلمات الثناء والمدح والهدية والشكر، وما أعظم تقديم القدوة الطيبة من أنفسنا لمن حولنا لتشمر في القلوب ولو بعد حين، وتكون أثراً صالحاً لنا من بعد الممات.. ولا أدري بعد كل هذا فعلعل الله تعالى قد حبا الأم قليلاً محبها لا يعرف الكره أبداً، ووهيها نفساً معطاءة لا يقف عطاها عند وقت أو عمر.. وإن شعرت يوماً أمّا.. أنك مظلومة من زوجة ابنك فلا يدفعك ذلك للانتقام، وطلب الثأر، بل كما قال الله عز وجل: (إِذْ فَعَ بِالْأَنْتِي هِيَ أَهْسَنُ النَّاسِ إِذَا هُوَ) (المؤمنون/96)، (وَمَا يُلْفَّاهَا إِلَّا إِلَيْهَا نَزَغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (فصلت/35-36) .. ولأن تكوني مظلومة منها خير لك من أن تكوني ظالمة لها.

* إجازة في الشريعة - لندن